

عندما كانت يتيمة قاصرة. كانوا يستعملون معهم نظاماً غريباً للتخلص من الأكبر سناً بسبب الاكتظاظ السكاني في الميتم. كان يوضع مع كل فتاة لقيطة مبلغ مئتي ألف ريس. وعند بلوغها من الخامسة أو السادسة عشر، كانت تعرض، يوماً ما، مع يتيمات أخريات، أمام شعرية أو سور بستان حتى يتسنى للبرتغاليين والخلاسيين اختيار زوجة لهم. وفي وقت سابق، كن يعملن رزمة صغيرة من القطن وينتظرن الزواج وكأنه بداية التحرر. وهو لم يكن عادة كذلك. كان البرتغاليون يشتهون المئتي ألف ريس وليس الزوجة. وهذا ما جرى مع ماريما دو اسبيرتو سانتو التي سخر من بساطتها البرتغالي ذو الشارب الطويل وانتقاها. وتزوجا في كنيسة الميتم. وعند المساء كان يغتصبها بعنف، بعد أن أفقده السكر نصف عقله. وقد ظنت أنه سيقتلها، فتلقت صلوات الميتم. وفي الأسبوع الأول من زواجهما كوفئت بأول «فلق»، ولو لم يتركها بعد شهرين من ذلك، لكانت هي نفسها ولّت الإدبار. ولم تعرف شيئاً عن مبلغ المئتي ألف ريس. وتاهت هائمة على وجهها الليل كله؛ وطافت حول الميتم، دون أن تجسر على قرع بابه. وعند انبلاج الفجر التقاها بائع كوكاين فأشفق عليها وأخذها إلى بيته.

عاش معها طويلاً. كان "لحمياً على عظيم"، مرتجف اليدين، سكوتاً ورقيق القلب. ولم يكن يزعجها. حتى أنه قد يكون أحبها. إنما كان يعشق أكثر الكوكاين التي كان يتنشقها ويبيعها إلى نسوة يتعاطين بها. وقد طارده شركة ريو، فهرب مع ماريما دو اسبيرتو سانتو إلى باهيا حيث اضطر إلى توسيع تجارته، لقلّة الزبائن في هذه المدينة؛ فباع بالإضافة إلى المخدرات، بطاقات بريدية خلاعية وكتب دعارة. لم يسبق له أن عرض